الدرس الرابع

البداية في البركة

تكوين ١: ١-٢: ٣

١. مقدمة

تشكل تكوين ١: ١-٢: ٣ أول قسم من السفر. وبدلاً من استخدام كلمة توليدوت *tôlᵊḏôṯ* في مستهل هذا القسم (انظر ملاحظات الدرس الثالث)، فإن لدينا التصريح البسيط ولكن العميق في تكوين ١: ١ أن الله خلق السماوات والأرض. وما هو مخلوق في تكوين ١: ١-٢ خرب (غير مصقول) وخالٍ (غير مملوءة)، وهكذا تصف بقية القسم كيف أعد الله هذا لسكنى الإنسان. لا يعلّمنا هذا القسم أن كل الخليقة تنبع من رغبة الله المعروف باسم يهوه وخطته الإراديتين فحسب، لكنه يعلّمنا أيضاً أن بداية الإنسان كانت في بركة الله. يتمتع الإنسان المخلوق على صورة الله بالسيادة على المخلوقات الأرضية ويختبر راحة الله. والفكرة الرئيسية هي أن الإنسان يبدأ في البركة، ويلقي ضوءاً على هذا ممارسة الإنسان للسلطة المفوّضة إليه ليحكم وهو متمتع بـ "راحة الله." وتأتي رواية الخلق وأصل الإنسان على نقيض صارخ مع الروايات الوثنية للخليقة (مثلاً، الرواية البابلية للخليقة)، حيث تتحارب آلهة كثيرة معاً، ومن خلال موت أحد الآلهة يُخلق الإنسان ليسدّ حاجات الآلهة. أمّا في الرواية الكتابية، فللإنسان منزلة رفيعة ودور كريم يشترك فيه مع الله القدير المحب.

٢. بنية ١: ١-٢: ٣

أ. نسبة الخلْق إلى الله الواحد الحقيقي (١: ١)
ب. تفاصيل ظرفية عن الأرض الأولية تشير إلى أنها غير صالحة لسكنى الإنسان (١: ٢)
جـ. سرد رواية الخلْق في تهيئة الأرض لتكون ملائمة للإنسان (١: ٣-٣١)
د. تصريحٌ ختامي تلخيصي لعملية الخلق (٢: ١)
هـ. خاتمة: راحة السبت (٢: ٢-٣)

٣. الرسالة الرئيسية

يقوم الله المتسيد بخلق كل الأشياء بكلمته الإلهية (مبيناً أنه إله كل خليقة)، مهيّئاً الأرض لسكنى الإنسان لكي يؤسس راحة الحكم الإلهي (الثيوقراطية) مع الإنسان الذي هو وسيط حُكمه على الخليقة.

٤. تطوّر القسم

أ. نسبة الخلق إلى الله الواحد الحقيقي (١:١)

على النقيض من الروايات الوثنية عن الخلق، تقول الرواية الكتابية إن الخليقة جاءت من الله الخالق الذي تعبده إسرائيل كيهوه. ويجب أن نلاحظ أن لدينا روايتين للخلق (وهما ليستا روايتين مختلفتين، بل هما روايتان من منظورين مختلفين):

١: ١-٢: ٣ تركّز على خلق الأرض لأجل الإنسان
٢: ٤-٢٥ تركّز على خلق الإنسان نفسه وحالته الأولية وبيئته

في الرواية الأولى يشكّل الإنسان غاية خليقة الله وذروتها. وتصوّر هذه الرواية منزلة الإنسان الرفيعة من حيث الترتيب الزمني (فهو أوج عمل الله الإبداعي). وفي الرواية الثانية، تصوَّر منزلة الإنسان الرفيعة وكرامته من منظور منطقي. فكل شيء مخلوق للإنسان: الجنّة والحيوانات والمرأة (ذروة عطايا الله للرجل).

١. اسم الله
أ. تكوين ١: ١= الله (إيلوهيم- (بالعبرية אֱלֹהִים). يؤكّد هذا التعبير على قوة الله كما تظهر بشكل بارز في الخليقة.
ب. تكوين ٢: ٤= الرب الإله (يهوه إيلوهيم - (بالعبرية יְהוָה אֱלֹהִים). يؤكد اسم يهوه على استقلالية الله السياديّة وعلاقته العهدية مع الإنسان وإسرائيل.

وإذا أُخذت هاتان الآيتان معاً، فإنهما تنسبان الخليقة إلى اللقبين (الله ويهوه). ويؤكد هذا على أن الله الخالق مرتبط بشكل حاسم "بيهوه، إله العهد". عندما أرسل الله موسى، كان عليه أن يذهب باسم يهوه (خروج ٣: ١٣-١٧؛ ٦: ٢-٩)، الذي هو إله الخليقة المتسيد. فهذا هو الإله الذي دخل في علاقة عهد مع إبراهيم الذي يهدف إلى تخليص إسرائيل وإخراجها من مصر.

٢. "خلَق" الله (بارا- بالعبرية - *bārā'* - בָּרָא)
على الرغم من أن كلمة بارا لا تعني بالضرورة "يخلق من العدم"، إلاّ أن هذا هو المعنى المتضمن المحتمل في هذا السياق (قارن مزمور ٣٣: ٦، ٩ ورومية ٤: ١٧).[١]

(*yāṣar* - יָצַר) – *ياتسار* - يشكّل (قارن تكوين ٢: ٧)
(*ʿāśāh* - עָשָׂה) عاسه - يصنع
(*yāsaḏ* - יָסַד) ياسد -يؤسس
(*yālaḏ* - יָלַד) يالاد - يُنجب
(*bānâ* - בָּנָה) بانه - يبني (انظر تكوين ٢: ٢٢)

إن السمة الفريدة لكلمة بارا *bārā'* هي أن استخدامها مقصور على وصف عمل الله (ولا تصف أبداً عمل الإنسان).[٢]

٣. تضمينات
إن الفكرة هنا هي أن إله الكتاب المقدس هو خالق الكون المنظم، بما في ذلك عناصر الطبيعة التي يعبدها الوثنيون كآلهة (مثلاً الشمس والقمر). فإيلوهيم هو المتسيد المطلق على كل مادّة. ولهذا تضمينان:
أ. إله الكتاب المقدس هو الأسمى منزلة وكلي السلطة فوق كل "الآلهة" الأخرى المزعومة.
ب. تتطلب سيادته الولاء. ويجب أن يطاع لا عند مغادرة مصر فحسب، بل أيضاً في الخضوع المستمر للتوراة التي هي إرادة الله المعلنة.

ب. تفاصيل ظرفية حول عمل الخلق الأولي (١: ٢)

١. خربة وخالية (بلا شكل وغير مملوءة)
يجب أن تترجم الآية الثانية كجملة ظرفية، "والآن (أي في ذلك الحين) كانت الأرض....." فمع أن الأرض نتجت عن العمل الإبداعي لله (الكامل) إلاّ أنها لم تكن في حالة تسمّى معها "حسنة". والسبب في ذلك هو أنها كانت تُعتَبَر *توهو وفوهو tōhû wāḇōhû* (الآية ٢)، الذي يحمل على الأرجح فكرة أن الأرض كانت في الأصل بلا شكل (أو غير مثمرة) وخالية (غير مملوءة). وهذا يعني أن الأرض لم تكن صالحة لسكنى الإنسان. وفضلاً عن ذلك، فإنه لا يوجد إلاّ الظلمة. وبدءاً بالآية ٣، يبدأ الله بمعالجة هذا الوضع.

[١] إن الجدل حول مسألة الخلق بمقابل التطوّر أمر حديث. الرواية الكتابية تقدّم الإنسان كناتج لعملية خلق مباشرة من الله، لا كنتيجة لعملية تطويرية. لدراسة مسْحية لنظريات متعددة للخلق، انظر J. P. Moreland and John Mark Reynolds, edd. *Three Views on Creation and Evolution* (Grand Rapids, MI: Zondervan Pub. House, 1999).

[٢] Cf. Thomas J. Finley, "Dimensions of the Hebrew Word for "Create" (בָּרָא) *BibSac* 148 (Oct-Dec 1991) 409-23.

٢. روح الله
على الرغم من ظلمة الأرض وخلوها من الحياة، إلا أنه يوجد رجاء، لأن روح الله موجود. فالله مسيطر يرف على وجه المياه. يُستخدَم هذا الفعل في تثنية ٣٢: ١١ لوصف حركة النسر وهو يرفرف بجناحيه فوق صغاره في عشِّها وهو يهتم بها ويرعاها. يتسم نشاط روح الله بجوّ البحث والرعاية والملاحظة. إنه روح الله الخالقُ الواهَبُ الحياة الذي ينتظر أن يهيئ الأرض لبرنامج الله مع الإنسان.

٣. صورة فدائية
على الرغم من أن المادة المسمّاة بالأرض جاءت نتيجة لعمل الله الإبداعي، إلاّ أن شكلها الأولي يتوقع عالماً شريراً ستحكم فيه الخطية والموت. فلا حياة هناك، والظلمة غامرة. لا يوجد أي تمتع بعلاقة مع الله، أو إعجاب بمجده. بل يوجد اختلاط لعناصر دون أن يكون بينها نظام. غير أن الله سيستخدم هذا لكي يعرض نموذجاً لعمله الفدائي في الخلاص، نموذجاً أولياً لأعمال خلاصه الكثيرة التالية. فنحن نرى هنا، حتى في البداية مذاقاً أولياً أو صورة مسبقة لما يريد أن يفعله الله مع الإنسان الخاطئ:
"لأن الله الذي قال 'أن يشرق نور من ظلمة'، هو الذي أشرق في قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح." (٢ كورنثوس ٤: ٦؛ انظر ٥: ١٧)
ففي وسط ظلمة حياتنا التي تسيطر عليها الخطية، يرف روح الله فوقنا بكل حرص، منتظراً اللحظة الثمينة لجلب النور وخلق حياة روحية فينا لكي يفرزنا لنفسه.

جـ. رواية الخلق في إعداد الأرض (١: ٣-٣١)

١. إلهنا منظِّم
يبدأ الله العمل من ذلك المكان الزاخر بالظلمة لكي يجلب النظام بذكاء لا ينافس. والفكرة هنا هي أن يحوّل الأرض من حالتها غير الصالحة للسكن إلى حالة تصلح فيها لسكن الإنسان (إشعياء ٤٥: ١٨). وبهذا يتم تجاوز حالة *توهو وفوهو* *tōhû wāḇōhû* (خربة خالية) – لأن الله سيشكل الأرض ويملؤها.
لنلاحظ بحرص بنية هذا الفصل:

مجال	التركيز على إعطاء الشكل بثلاث عمليات فصل رئيسية	التركيز على ملء المجال بالخليقة المناسبة
مجال السماوات	**اليوم 1** نور يفصل الظلام في السماوات	**اليوم 4** العديد من الأجسام المضيئة التي أُنشئت لملء السماوات
مجال السماء والبحر (غير اليابسة)	**اليوم 2** جلد (امتداد) يفصل المياه في الأعلى عن المياه في الأسفل	**اليوم 5** المخلوقات البحرية لملء المياه في الأسفل والطيور لملء الجلد في الأعلى
مجال الأرض اليابسة	**اليوم 3** فصل الأرض اليابسة التي ستنمو عليها الأطعمة الصالحة للأكل	**اليوم 6** الحيوانات والإنسان الذين خُلِقوا لملء الأرض اليابسة، تدعمهم الأطعمة الصالحة للأكل

٢. الكلمة الخلاّقة

إن كلمة بسيطة من الله هي التي توجد الأشياء في هذا العمل الإبداعي الإلهي. وهذه الفكرة هامة، لأن قوة كلمة الله كانت هامّة لإسرائيل. إذ يمكن الاعتماد عليها، وهي تعطيهم التوكيد والضمان حين يتحركون بالإيمان. فما نطق به يهوه كان قوياً وأكيداً في نفس الوقت. وهو قادر على أن يفي بما وعد به. ولهذا لا بد أن يستجيبوا لكلمة الله بالطاعة المطلقة والثقة الكاملة.

٣. فكرة النور

مع خلق النور، يُبدِّد الله الظلمة. وسيصير النور والظلمة رمزين رئيسيين في الكتاب المقدس للخير والشر. وسيكون النور سمة للفداء وقداسة الله (مزمور ١٨: ٢٨-٢٩، ١ يوحنا ١: ٥-٦). وعندما نأتي إلى يسوع، فإننا نرى تطبيق هذه الفكرة عليه: "*فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس، والنور يضيء في الظلمة، والظلمة لم تدركه*."

٤. تقويم عمل الله

بعد كل يوم من عمل الله، توجد عملية تقويم من الله بصيغة: "ورأى الله أنه حسن". وهذا أمر غائب عن اليوم الثاني لأن الله بدأ بعملية "فصل مكانية" في ذلك اليوم لكنه لم ينهها إلاّ في اليوم الثالث. ومن الواضح أن الله يقصد أن تتركز دراما الخلق على الإنسان، فالله يقول بعد خلقه للإنسان، "*فإذا هو حسن جداً*". وما كل هذا العمل الإبداعي إلاّ إعداد للرجل والمرأة.

٥. السلطة للرجل

إن ذروة هذا الفصل في خلق الرجل والمرأة.[٣] لنلاحظ النقلة من "ليكن" إلى "نعمل" (بمعنى "لنعمل").[٤] ليس الرجل والمرأة الجانب النهائي لعمل الله، لكن الله قصد لهما أن يحكما ويمارسا السلطة

---

[3] في ما يتعلق بكون الإنسان "صورة الله"، انظر Charles Lee Feinberg, "The Image of God," *Bibsac* 129-515.

[٤] لقد أثارت مسألة *التعدّدية* التي يوحي بها تعبير "نعمل" (لنعمَل) نقاشاً كثيراً، لكن لا يوجد لسوء الحظ إجماع على التفسير. فالمفسرون الحديثون (بمن فيهم بعض المحافظين) يرفضون فكرة أن الثالوث كان في ذهن الكاتب عندما كتب. ويبدو أن روس يفضّل اعتبار صيغة الجمع هنا على أنها "جمع الجلالة"، أي الجمع المستخدم للتوافق مع إيلوهيم (التي هي من ناحية فنية في صيغة الجمع في اللغة العبرية، على الرغم من أن هذه الكلمة تُترجم إلى "الله" في صيغة المفرد – انظر تكوين ١١: ٧ [Creation and Blessing, 112]) مشكلة رأي روس هي أننا لا نرى جمع المتكلم في تكوين ١: ٢٩ ("أعطيتكم كل بقلٍ" كما نتوقع. أمّا جوردون ونهام فيرفض هذا الرأي في كتاباته في سلسلة World Commentary. يقول، "إن ملاحظة جون (114e) أن المتكلم في "نعمل" (لنعمل)، أي نحن، كجمع للجلالة لا يستخدم مع الأفعال قد أدَّت إلى رفض هذا التفسير (Genesis I-15-28). لكن ونهام يرى بأن الخيار هو بين خيارين: (١) يخاطب الله هنا مجلسه السماوي، أي الملائكة (على الرغم من أنه هو وحده الذي يقوم بعملية الخلق)؛ أو (٢) يستخدم الكاتب "جمع التدارُس" (أو جمع الحض الذاتيّ) – كما لو أن الله يحدّث نفسه، أو جمع التفخيم [لكن آخرين بيّنوا أن التركيب العبري في تكوين ١٨: ١٧ يضعف هذا الرأي]. ويبدو أن ونهام يفضّل فكرة المجلس السماوي. يقول:

يوحي استخدام الفعل المفرد "خلق" في ١: ٢٧ بأن الله عمل وحده في خلق الجنس البشري. ولهذا يجب اعتبار "نعمل" (أي "لنخلق") على أنها إعلان إلهي في البلاط السماوي، لافتاً انتباه جند الملائكة إلى تحفة الخليقة، الإنسان. فكما قال أيّوب ٣٨: ٤، ٧: "عندما أُسستُ الأرض ... هتف جميع بني الله (فرحاً)" (قارن لوقا ٢: ١٣-١٤) (Wenham 28).

ولكن رأى المجلس السماوي ليس من دون مشاكل أيضاً. فإن كان يتكلم والمجلس الملائكي في فكره، فهل تتضمن الكلمات "على صورتنا" (ع ٢٦) أن صورة الإنسان ليست على صورة الله فقط، ولكن على صورة الملائكة أيضاً؟ وكذلك يبدو أن إشعياء ٤٠: ١٤ يقترح أن الله لم يستشر أحداً في قيامه بالخلق.

ولقد عبّر حديثاً فكتور هاملتون Victor Hamilton (The Book of Genesis, Chapter 1-17, NICOT, 134) عن تفصيله لفكرة أن صيغة الجمع تعكس التعددية ضمن الوحدة في الله (على الرغم من أنه لا يؤكد صراحة فهماً ثالوثياً لهذا التعبير). وقد سبق أن تحدثت الآية الثانية عن *الروح* (مفترضاً أن الكلمة العبرية *رواخ* يجب أن تترجم إلى "روح" وليس إلى "ريح")- مخبرةً إيانا أن الله معقَّد الكينونة. انظر D. J. A. Clines, "The Image of God in Man," *TynBul* 19 (1968): 62-69; and G. Hasel, "The Meaning of 'Let US' in Gen. 1: 26," AUSS 13 (1975); 58-66. وهاملتون على الأرجح على الطريق الصحيح-إذ توجد تعدّدية سامية في الله الواحد، وهو أمر ينعكس في التعددية البشرية للإنسان ("فخلق الله الإنسان... ذكراً وأنثى خلقهم" – الآية ٢٧؛ قارن ٥: ١-٢). ويقدم سيلهامر شرحاً جيّداً لهذا الرأي "Genesis," *The Expositor's Bible Commentary* 1: 38) يقول: "إذا تبعنا هذا المفتاح أو الإشارة القوية، فإن التعددية الإلهية المعبّر عنها في الآية ٢٦ تُرى كتوقع للتعددية البشرية في الرجل والمرأة، وهي بهذا تعطي العلاقة البشرية بين الرجل والمرأة دوراً يعكس علاقة الله الشخصية مع نفسه." وعلى الرغم من هذا المنهج لا يثبت

على الخليقة. كان آدم الإداري الثيوقراطي عند الله. وكانت لديه "سلطة مفوضة" كوسيط لدور الله. وبمعنى ما فإن الله يشرك الإنسان في هذا الحكم الذي هو حق الله وامتيازه الفريدان.
هذا هو الإنسان كما خُلق ليكون ... مشاركاً في حكم الله على الأرض. وإنه لأمر محزن أن الإنسان سيفوّت هذا الامتياز بعصيانه وسقوطه (انظر مزمور ٨: عبرانيين ٢: ٦-٨). لكنه، بنعمة الله، سيُرد للإنسان في المسيح ويتحقق في تأسيس ملكوت الرب للأمناء له.

خطة الله في إشراك الإنسان في هيمنته

١. قصد الله الأصلي	تكوين ١: ٢٦-٢٨
٢. هلاك الإنسان من خلال السقوط	عبرانيين ٢: ٨
٣. رد الإنسان لله من خلال المسيح	مزمور ٧٢: ٨؛ ١١: ٢
٤. متاح لكل الذين يحتملون بصبر	٢تيموثاوس ٢: ١٢؛ عبرانيين ١٠: ٣٦

د. تصريح ختامي تلخيصي لعملية الخلق

هـ. الخاتمة: راحة السبت (٢: ٢-٣)

١. من الواضح أن الله لم يعانِ من أي تعب عند انتهاء أيام الخليقة الستة (إشعياء ٤٠: ٤٨). غير أن راحة السبت فكرة رئيسية من أفكار الكتاب المقدس، حيث تعادَل مع تحقيق البركة الموعودة. ففي عبرانيين ٤، تتوقع "الراحة" عصر الملكوت عندما يأتي الله بالإنسان إلى تحقيق البركة الموعودة ويعيد ترسيخ حقّه في الحكم على خليقته.
كان حفظ السبت علامة على عهد سيناء ودليلاً صريحاً على طاعة الرب واتّباعه.

٢. البركة
تقول تكوين ١: ١-٢: ٣ إن الله يبارك في ثلاث نواحٍ:
أ. الإثمار والتكاثر (١: ٢٢)
ب. السلطة (١: ٢٨)
جـ. الراحة (٢: ٣)
كان يفترض أن يتمتع بنو إسرائيل ببركة الله في هذه النواحي الثلاث في أرض الموعد كشعب الله الثيوقراطي (الذي يحكمه الله). وستتناول بقية الكتاب المقدَّس عملية ترسيخ نعيم الراحة الثيوقراطية. والعهد الإبراهيمي في تكوين ١٢ هام جداً لهذه العملية.

٥. تأكيدات لاهوتية معلنة في تكوين ١

أ. طبيعة الله بصفته الخالق المتسيد. كل ما هو موجود من صنع الله، ولهذا يجب أن يكون تحت سيطرته.
ب. أساس التوراة

الثالوث بشكل صريح، إلاّ أنه يسمح بتعقيد في الكينونة الإلهية سيتم التعمّق فيه في مواضع أخرى من الكتاب المقدس. غير أننا نختار أن نفسّر صيغة الجمع المذهلة في تكوين ١: ٢٦ فنقول إنه أمر واضح أن يسوع المسيح يصوَّر هنا بصفته الله الخالق (كما يوضح العهد الجديد).

إن كان الله حقاً موجوداً قبل كل شيء وهو الذي خلق كل شيء بما في ذلك الأشياء التي يعبدها الوثنيون – فإن من الحمق أن يعبد الإنسان آلهة أخرى غيره.

جـ. عمَل الله في الفداء

د. قصد الله أن يجعل الإنسان يقيم في البركة عاملاً كوسيطٍ لإتمام حكم الله.

درس لحياتنا

يخبرنا الأصحاح الأول من سفر التكوين أن الطبيعة كانت من إبداع يهوه إيلوهيم المتسيد. ونحن نكتشف في يوحنا ١: ١-٣ وكولوسي ١: ١٦ أن هذا الله الخالق ما هو إلاّ الربّ يسوع المسيح. وهذا أمر هام، لأنه يكشف لنا بشكل بديع نعمة الله: فنفس الذي خلقك ذهب إلى الجلجثة من أجل خطاياك. وهذا هو ما يجعل محبة الله لا تقاوم! هل يمكنك أن تفكر بسبب يجعلك تقاوم محبة الله لك؟ تأمل رومية ٨: ٣٦-٣٩.